

حديث: «من عادى لي وليًّا»

دراسة تحليلية في ضوء العقيدة الإسلامية

د. مريم بنت عبد العالي الصاعدي[*]



المقدمة:

الحمد لله أرشدَ الخلقَ إلى الصواب، وفتح لهم من خزائنِ رحمته كلَ باب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الوهاب، وأشهد أن محمدا عبدهُ ورسولهُ المبعوثَ بأجلِ العباداتِ، وأكمل الآداب، صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب، وبعد:

فهذا البحث يتناولُ دراسةً تفصيلية لنصٍ من النصوص العقدية، وهو الحديثُ القدسي الذي رواه النبيُ ﷺ عن الله – تعالى- بقوله: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب...**».

وهذا الحديثُ يدور حولَ مسألةِ الولاية وما يتعلق بها، ولا شك أن الولاية المرادة

(*) أستاذ مساعد عقيدة – جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

في الحديث منـــزلةٌ رفيعة، وحولها أسوارٌ منيعة، لا يدخلها إلا من صـــحت طريقتـــه وصفت سريرته، واتبع الطُرق السليمة، واعتصم بالله من الأهواء السقيمة، ونوَّر قلبـــه بالإيمان، ونطق باللسان، وعمِل بالأركان، وتجنب سُبِل الشيطان، وعلمَ حقيقة هـــذه الدار، وأنه لم يخلق للقرار، فعمل بالتنـــزيل، وتزود ليوم الرحيل؛ فصارت حياتُه كلها لله، إن أعطى فلله، وإن منع فلله، وإن أحب ففي الله، وإن أبغض ففي الله، فأصـــبح قلبُه معلقاً بالله، فمن كانت هذه صفاته فهو من أولياء الله الذين قال — تعالى — فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾(يونس:٦٢)، فأثمرت له الولاية انشراح السريرة، ونور البصيرة؛ فأكرمه الله بمحبته، واجتباه بحفظه ورعايته، إن سَمِعَ سَمِع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهـــو في قلبه ومعه وأنيسه وصاحبه، فأستغفر الله الذي لا إله إلا هو من وصف حالهم وعـــدم الاتصاف به.

فهذه سمات، ولطائف وصفات، فهمتها من خلال استقرائي لكلام العلماء علـــى حديث الولي من كتبِ المحدثين، والشراح من السلف والخلف، فالله اسأل أن يرزقنـــا مثل حياته وأن يجعلنا على صفاته.

ولعلو هذه المنـــزلة ورفعة هذه الدرجة وجدت من خـــالف الســـلف يشـــرحها بمذهبه، وينحو بها نحو نحلته، فيخلط الحق بالباطل؛ ليلبس علـــى العاقـــل، ويصـــف مشائخه بالهداية ليوصلهم إلى درجة الولاية، فرأيت أنه من الواجب التمييز بين الـــولي عند أهل السنة والجماعة، والولي عند المخالف؛ فبضدها تمييزُ الأشياء.

وأثناء دراستي لهذا الحديث استنبطت منه فوائد ولطائف وثمرات، فـــالله المســـتعان وعليه التكلان.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وهي هذه.

المبحث الأول: نص الحديث وأقوال العلماء في ذلك.

المبحث الثاني: مسألة الولاية، وتتضمن الآتي:

١- المراد بالولي لغة واصطلاحا.

٢- أقسام الأولياء، طبقاتهم وصفاتهم عند أهل السنة والجماعة، والفرق بينهم وبين الأولياء عند الصوفية والشيعة.

٣- الطريق للولاية الحق.

٤- ثمرة الولاية الحق.

المبحث الثالث: المراد من قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه – تعالى: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».

المبحث الرابع: المراد من قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه – تعالى: «وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعله من العلم النافع، وأن يجعل العمل فيه خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الباحثة

مكة المحروسة

١٤٣٤/٤/٣هـ

* * *

المبحث الأول
نص الحديث وأقوال العلماء في ذلك

نص الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَ إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبَصرهَ الذي يُبصر به، ويدهَ التي يبطِش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكرَهُ الموتَ وأنا أكرهُ مساءته**».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري[(١)] – رحمه الله- في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع ح(٦٥٠٢) (١١/٤١٤)، وذكره معلقا في كتاب التوحيد برقم (٩٧).

قال ابن رجب: (هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري[(٢)] من دون بقية أصحاب الكتب)، وقال: (وهو من غرائب الصحيح، تفرَّد به ابن كرامة عن خالد، وليس هو في "مسند أحمد"، مع أن خالد بن مخلد القطواني تكلَّم فيه أحمدُ وغيره، وقالوا: له مناكير)[(٣)].

وقال الذهبي في "الميزان" في ترجمة خالد بن مخلد: (ومما انفرد به ما رواه البخاري

(١) انظر: الفتح مع الصحيح (١/٤١٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٠).
(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

في صحيحه، عن ابن كرامة، عنه، وأخبرناه أحمد بن اسحاق...) [1]، ثم ذكر الإسناد وذكر الحديث، ثم قال: (فهذا حديثٌ غريب جدا، لولا هيبةُ الجامِع الصحيح لعدُّوه في منكرات خالد بن مخلد؛ وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس الحافظ، و لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد، ولا خرَّجه من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد) [2].

لكن الإمام الشوكاني –رحمه الله– عندما شرح هذا الحديث قال في مُقدمة شرحه: (ولاحاجة لنا في الكلام على رجال إسناده؛ فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلها من المعلوم صدقه بالمقبول المجمع على ثبوته، وعند هذه الإجماعات تندفع كل شبهة ويزول كل تشكيك، وقد دفع أكابر الأئمة من تعرض للكلام على شيء مما فيهما، ورده أبلغ رد، وبينوا صحته أكمل بيان، فالكلام على إسناده بعد هذا لا يأتي بفائدة تعتد بها؛ فكلُ رواته قد جازوا القنطرة، وارتفع عنهم القيل والقال، وصاروا أكبر من أن يُتكلم فيهم بكلام أو يتناولهم طعن طاعن أو توهين موهن) [3]. وقال ابن تيمية –رحمه الله–: (وهذا الحديث أصح حديث روي في الأولياء) [4].

ثم إن لهذا الحديث طرقا أخرى [5] وإن كانت لاتخلو من مقال، لكنها تدل في

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٦٤١/١).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) قطر الولي للشوكاني (ص:٢٣٠).
(٤) مجموع الفتاوي (٢١٦/١١).
(٥) فمن حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" في باب ماجاء في التردد ح(١٠٢٩) (٤٤٧/٢) بنحوه، وقال محققه الشيخ عبد الله الحاشدي: إسناده حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بهذا الإسناد كما في الإحسان ح:(٣٤٧) (٥٨/٢) بلفظه وأخرجه اللاكائي في "كرامات الأولياء"=

مجموعها على أن للحديث أصلا.

وهذا الحديث يعتبر من الأحاديث القدسية، وحدَّ علماء الفن الحديث القدسي بأنه: ما أسنده رسول الله ﷺ عن الله – تبارك وتعالى، وسمى قدسيا لتكريم هذه الأحاديث من حيث إضافتها إلى الله – تعالى–(١).

* * *

=ح:(٤٣) (ص:٩٩) بلفظه. ومن حديث عائشة – رضي الله عنها– أخرجه ابن أبي الدنيا في "الأولياء" ح: (٤٥) (ص:٢٣)، وأحمد في مسنده ح (٢٦١٨٣) (٢٩١/٦) وأبو نعيم في "الحلية" ح:(١) (٣٤/١)، والبيهقي في "الزهد" ح: (٦٩٠) من طريق عبد الواحد بن ميمون أبوحمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة بمعناه، وقال ابن عدي (تفرد به عبد الواحد هذا عن عروة وعبد الواحد هذا قال فيه البخاري منكر الحديث). انظر الكامل في الضعفاء (١٩٣٩/٥) وقال ابن حجر (لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب عن مجاهد عن عروة وقال لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد) انظر: الفتح (٤١٥/١١) وقال ابن رجب عن يعقوب هذا إسناده جيد، انظر جامع العلوم والحكم (٣٣١/٢). وهناك طرق أخرى للحديث وردت عن عدد من الصحابة نحو علي وابن عباس، وأنس وأبي أمامة وحذيفة ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهم أجمعين – وكلها في إسنادها مقال. لكن الحديث الذي أوردناه نصاً وعليه دراستنا هو في الصحيح الجامع للإمام البخاري –رحمه الله– كما ذكرت سابقاً، ولاحاجة لدراسة رجاله، وذكرت بعض الطرق إثباتاً على أن للحديث أصلا.

(١) انظر: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (١٣١-١٣٤)، الأحاديث القدسية، ملا على القاري (ص:٤).

المبحث الثاني
مسألة الولاية

وتتضمن الآتي:

المطلب الأول: المراد بالولي لغة واصطلاحا

الولي لغة:

قال الجوهري في الصحاح: "الولي: القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولي. والولي المطر بعد الوسمي، سمي وليا؛ لأنه يلي الوسمي. والولي: ضد العدو"(١).

وقال ابن منظور: "الولي من أسماء الله – تعالى، وهو الناصر، وكل من وَلي أمرا أو قام به فهو مولاه ووليه. والولي: الصديق والنصير. والولي: التابع والمحب"(٢). إلى غير ذلك من المعاني.

وعلى هذا فالولي في الأصل يطلق على القريب، والنصير، والمحب، سواء كان الولي قريبا ونصيرا ومحبا ومواليا لله – تعالى - فهو ولي لله، أم قريبا ونصيرا ومحبا ومواليا لغيرهن كأن يكون وليا للشيطان ونحوه، وعلى مثل هذه المعاني قال – تعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾[يونس:٦٢]، وقال -تعالى-: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾[النساء:٧٦].

قال شيخ الإسلام: (وقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس،

---

(١) الصحاح للجوهري (٦/٢٥٣٠).

(٢) لسان العرب (١٥-٢٨١-٢٨٥).

وللشيطان أولياء، وفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) [١].

الولي اصطلاحا:

قال شيخ الإسلام – رحمه الله-: (ولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته) [٢].

وقال ابن حجر – رحمه الله-: (المراد بولي الله: العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته) [٣].

وعرفه الشيخ الشوكاني –رحمه الله- بقوله: (هي شخصية إيجابية عملية تدور مع الحياة حيث تكون، وترسم خطى الدين في كل ما أُمر أو نُهي أو رُغب أو خُوف، بل إن صاحبها يتسامى فوق الالتزام بالمأمورات والمنهيات إلى الالتزام بالمندوبات والمحبوبات، لا يحبُ إلا الله، ولا يبغض إلا في الله) ا.هـ [٤].

(وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور؛ فاحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه) [٥].

وقال محققُ كتاب الكرامات للالكائي:

(الولاية في الشريعة مرتبة عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهرا وباطنا فالولاية لها جانبان:

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص:٤٤).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٥٠/١)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:٤٠٦).
(٣) فتح الباري، (٤١٧/١١).
(٤) قطر الولي (ص:٢٣٧).
(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص:٢٨٦).

- جانب يتعلق بالعبد: وهو القيام بالأوامر، واجتناب النواهي، ثم التدرج في مراقي العبودية بالنوافل.
- وجانب يتعلق بالرب - سبحانه وتعالى: وهو محبة هذا العبد ونصرته وتثبيته على الاستقامة)[1].

المطلب الثاني: طبقات الأولياء وصفاتهم، والفرق بينهم وبين الولي عند الصوفية والشيعة

فأولياء الله تعالى على صنفين:

الصنف الأول: سابقون مقربون: وهم الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات[2]، قال - تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝﴾[الواقعة: ١٠-١٤]، فسماهم الله سابقين، وأخبر عنهم بأنهم سابقون؛ لأن (حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة، بحيث لايجد المتكلم خبرا يخبر به عنهم أدّل على مرتبهم من اسم "السابقون")[3]، (واشتق لقبهم من السبق؛ لما فيه من الدلالة على بلوغهم أقصى ما يطلبه الطالبون)[4]. وذكر السمين الحلبي - رحمه الله - عدة أوجه لتكرار لفظة السابقين في هذه الآية، ولعل المختار — في نظري- أنها كررت تأكيدا لتعظيم الأمر وتفخيمه[5].

---

(١) كرامات الأولياء للالكائي — تحقيق: د. أحمد الغامدي (ص:٧).
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص:٩٨).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨٧/١٣).
(٤) المصدر نفسه (٢٨٧/١٣).
(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٩٣/١٠-١٩٤).

ووصفهم الله بأنهم مقربون عنده (في أعلى علـيين، في المنـازل العاليـات الـتي لا منـزلة فوقها)[١]، وهم كما بين الله ﷻ أنهم كثيرٌ في العصور المتقدمة، وقليـل في العصور المتأخرة؛ (فيستلزم من ذلك أنهم صنف عزيز نفيس، لما عهد في العرف قلـة الأشياء النفيسة وكقول السموأل – وقيل غيره:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل)[٢]

وذكرهم الله – تعالى – في قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾[المطففـين: ٢٨]، قال ابن عباس — رضي الله عنهما — في هذه العين أنها (تمزج لأصحاب اليمين مزجا، ويشرب بها المقربون صرفا)[٣]، فإنه — تعالى – قال: (يشرب بها)، ولم يقل (يشـرب منها)؛ لأنه ضمن قوله يشرب معنى يروى، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى، فـإذا قيل: يشربون منها لم يدل على الري؛ فإذا قيل يشربون بها كان المعنى: يـروون بهـا، فالمقربون يروون بها؛ فلا يحتاجون معها إلى ما دونها؛ فلهذا يشـربون منـها صـرفا، بخلاف أصحاب اليمين؛ فإنها مزجت لهم مزجا)[٤]، قال شـيخ الإسـلام: (فهـؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون إلى الله ﷻ فكانـت أعمـالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا، كما عملوا صرفا)[٥].

الصنف الثاني: أبرار أصحاب يمين مقتصدون: وهم الذين تقربوا إليه بـالفرائض،

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٣٣).
(٢) التحرير والتنوير (٢٨٩/١٣).
(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٤٠٦/٣). وانظر: تفسير الطبري (٦٩/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥٢٠/٤).
(٤) الفرقان (ص: ٩٥).
(٥) المصدر نفسه (ص١٠٠).

يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ماحرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات[1]، (والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفا، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا)[2].

ولا شك أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين، وهذا التقسيم إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين. وانقسامهم هذا نظير انقسام الأنبياء إلى عبد رسول، ونبي ملك، فالنبي الملك هو الذي يفعل ما فرض عليه، ويترك ما حرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحب ويختار، ولا إثم عليه، أما العبد الرسول فلا يعطي أحدا إلا بأمر ربه، فأعماله كلها عبادات لله – تعالى. والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك، كما أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين[3].

وأفضل الأولياء على الإطلاق الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام، ثم صحابة الرسول – صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وسلم، ثم من سار على نهجهم واقتفى أثرهم، هذا مع التفاضل بين الأعيان في كل طبقة؛ فالرسل والأنبياء بعضهم أفضل من بعض، وأفضل الأنبياء والرسل على الإطلاق نبينا محمد ﷺ.

والصحابة بعضهم أفضل من بعض؛ فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة، وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة: أبوبكر، ثم عمر، ثم

(١) المصدر نفسه (ص:٩٨).
(٢) المصدر نفسه (ص: ١٠٠).
(٣) الفرقان (١٠٠-١٠٥).

عثمان، ثم علي، ثم الأفضل فالأفضل، وهكذا، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة، والقرون الأولى أفضل من القرون المتأخرة، وأفضل أولياء الله – تعالى – أكثرهم اتباعا لكتاب الله وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

صفات الأولياء:

هم أهل الصفات الجميلة، وأصحاب الموهوبات الجليلة؛ لأنهم رضوا من الدنيا بالقليل، وتزودوا ليوم الرحيل، ومع هذا فهم ليسوا بمعصومين، ويجوز عليهم ما يجوز على المؤمنين، غير أن يكونوا من النبيين، وأنهم لم ينفردوا بصفات ظاهرية، وإنما تميزوا بعبادات قلبية، وسلوك على الطرق السوية، وتجملوا بالأخلاق العلية.

قال الشوكاني – رحمه الله: (واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة، ومنزلة عالية، فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب، وينافي الحق، فإذا وقع في ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله)[1].

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله-: (وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحا، كما قيل: كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل

(١) انظر: قطر الولي (ص:٢٤٨).

الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع)(١).

وبين الشوكاني موضحا شخصية الولي فقال: (واعلم أن من أعظم ما يتبين به من هو من أولياء الله – سبحانه – أن يكون مجاب الدعوة، راضيا عن الله ﷻ في كل حال، قائما بفرائض الله – سبحانه–، تاركا لمناهيه، زاهدا فيما يتكالب عليه الناس من طلب العلو في الدنيا والحرص على رياستها... إذا وصل إليه القليل صبر، وإن وصل إليه الكثير شكر، يستوي عنده المدح والذم، والفقر والغنى... غير معجب بما من الله به عليه من خصال الولاية، إذا زاده الله رفعة زاد في نفسه تواضعا وخضوعا، حسن الأخلاق، كريم الصحبة، عظيم الحلم، كثير الاحتمال، وبالجملة فمعظم اشتغاله بما رغب الله فيه، وندب عباده إليه، فمن كملت له هذه الخصال، واتصف بهذه الصفات، واتسم بهذه السمات فهو ولي الله)(٢).

ولقد وصفهم ابن القيم – رحمه الله – فأجاد، وأطلعنا على أحوالهم فأفاد، فقال: (وأما السابقون المقربون فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولا من وصف حالهم وعدم الاتصاف به، بل ما شممنا له رائحة ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، وإن كانت النفوس مختلفة منقطعة عن اللحاق بهم، ففي معرفة حال القوم فوائد عديدة، منها: لا يزال المتخلف المسكين مزريا على نفسه، ذاما لها، ومنها: أنه لا يزال منكسر القلب بين يدي ربه – تعالى – ذليلا له حقيرا، يشهد منازل السابقين وهو في زمرة المنقطعين، ويشهد بضائع التجار، وهو في رفقة المحرومين... وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله

(١) الفرقان (ص:١٢٨).
(٢) قطر الولي (ص:٢٥٥).

ومراقبته، فسرت المحبة في أجزائهم؛ فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه، قد فنوا بحبه عن حب من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه، وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه متذكرا صفاته العلى وأسماءَه الحسنى، مشاهدا له في أسمائه وصفاته، قد تجلت على قلبه أنوارها؛ فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته... فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهدا لقلبه أنسته ذكر غيره، وشغلته عن حب من سواه، وحديث دواعي قلبه إلى حبه – تعالى - بكل جزءٍ من أجزاءِ قلبه وروحه وجسمه، فحينئذ يكون الرب – سبحانه - سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبه يسمع وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، كما أخبر عن نفسه على لسان رسوله ﷺ)[1].

وصدق عليهم قول من يقول[2]:

لله قوم أخلصوا في حبه	اختصهم ورضى بهم خداما
قومٌ إذا هجم الظلام عليهم	قاموا فكانوا سُجدا وقياما
يتلذذون بذكره في ليلهم	ونهارهم لا يفترون صياما
خمص البطون من الحرامِ أعفةٌ	لا يعرفون سوى الحلالِ طعاما
فسيفرحون بوردِ حوض محمد	وسيسكنون من الجنان خياما

(١) طريق الهجرتين (ص:٢١٠).
(٢) بستان الواعظين لابن الجوزي (ص:٣٧٨).

هذا مفهوم الولاية، وهذه صفات الأولياء عند أهل السنة والجماعة. أما الولاية عند الشيعة فهي مرتبة عالية ومنـزلة رفيعة، لكنها محصورة في أشخاص معينين، وهم الأئمة والدعاة، وأنهم قد خُصوا بعلمٍ دون غيرهم، كما جاء ذلك في بعض أبواب في أصول الكافي، مثل باب: أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه[1]، وباب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم[2]، وغير ذلك، وجاء في كتاب بحار الأنوار للمجلسي عن هؤلاء الأئمة — وهم الأولياء عندهم (أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم)[3].

بل يستغيثون بهؤلاء الأولياء، ويستشفون، بهم ويقضون حوائجهم بواسطتهم، ويوجبون زيارة مراقدهن والطواف حولها، والتوسل بها، ويقولون إن بيدهم حق التشريع من التحليل والتحريم، بل يقولون بعصمتهم، ويفضلونهم على سائر الأنبياء، قال المجلسي: (باب تفضيلهم – عليهم السلام – على الأنبياء وعلى جميع الخلق)[4]، و: (باب: لزوم عصمة الإمام)[5].

وأضاف الخميني في "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية" صفة زائدة يتصف بها الولي الذي كمل في ولايته ووصل ذروته أنه يتخذ له معراجا خاصا، فتعرج روحه إلى العالم العلوي، فيتعرف على الحقائق، ويكتشفُ الدقائق فقال: (إذا صعدت تلك الذروة العالية، وعرجتَ بروحك إلى أوْج هذه الحقيقة النُورية، وعرفتَ حقيقة ما تلونا

(١) أصول الكافي (١/١٩٢).
(٢) المصدر نفسه (١/٢١٣).
(٣) بحار الأنوار للمجلسي (١/٢١٣).
(٤) المصدر نفسه (٢٦/٢٦٧).
(٥) المصدر نفسه (٢٥/١٩١).

عليك من الظهور الذاتي يمكن لك فهم الحقائق، ويفتح عليك بعض أبواب الرموز والدقائق)(١)، وقال في موضع آخر: (ينكشف لك من سر الخلافة والنبوة والولاية في النشأة الغيبية والأنوار العقلية الإلهية، وفيه حقائق إيمانية تطلع من مطالع نورانية لعلك تتدرج بها إلى الكمالات الإنسانية)(٢).

أما الولاية عند الصوفية فهي محصورة أيضا في أشخاص معينين، وهم مشائخهم الذين رفعوهم في أعلى المراتب والدرجات، وقالوا عنهم بأنهم تميزوا بالعلم اللدني، وأنهم معصومون، يقول الكلاباذي: (ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعد)(٣)، ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله: (والغالبية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ، والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يذنب)(٤)، (ومن المعاني التي تلزم العصمة أو تساويها عند هؤلاء الفناء(٥) في الله؛ لأن الشخص إذا فنى في ذاته "أي: ذات الله سبحانه"، وغاب عن صفاته لم يتصور أن يخطئ، وإذا أخطأ في الظاهر فإن له في الباطن مايعلل هذا الخطأ أو يفسره بأنه هو الصواب"، ومن هنا قالوا إن رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، فليس تصرف الولي حينئذ صادرا عن عقل واعٍ،

---

(١) مصباح الهداية إلى الخلافة للخميني (ص:١١٦).

(٢) المصدر نفسه (ص:١٢٩).

(٣) التعرف لمذاهب أهل التصوف (ص:٩٩).

(٤) منهاج السنة النبوية (١/٤٤).

(٥) الفناء: (أشار قوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة، وأشاروا بالبقاء إلى بروز الأوصاف المحمودة ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والغل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من روعانات النفس فقد فنى عن سوء الخلق فإذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق).

وإنما هي النفس الكلية المتحدة تتصرف وتصدر عن المثل الأعلى)(1).

بل ادعى بعضهم، وقال: إن للأولياء خاتما، وأن خاتمهم أفضل الأولياء قياسا على خاتم الأنبياء، وقد صرح بهذا من المتقدمين الحكيم الترمذي في كتابه "ختم الولاية"، قال شيخ الإسلام – رحمه الله: (وقد ذكر في هذا الكتاب ماهو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وهو - رحمه الله - وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة؛ ففي كلامه من الخطأ مايجب رده، ومن أشنعها ماذكره في ختم الولاية، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما)(2).

ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم من الله من جهته، كما يزعم ذلك ابن عربي، وصرح به في كتابه "عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب"(3)، وفي "فصوصه"(4)وغيره.

ومن مظاهر الولي عند الصوفية لباس الخرقة، حيث اتخذها شعارا للطاعة، وأن فيها سلسلة البركة – كما يزعمون.

قال شيخ الإسلام: (وأما لباس الخرقة التي يُلبسها بعض المشائخ المريدين فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة، ولا كان المشائخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يُلبسونها المريدين، ولكن طائفة من المتأخرين أرادوا ذلك

(١) ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال (ص٨٦).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٢٣)، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٦٧)، والفرقان (ص١٩٠).
(٣) انظر: عنقاء مغرب (ص:٧١).
(٤) الفصوص (ص: ٦٤).

واستحبوه)[١].

وهؤلاء الصوفية يجعلون للشيخ الواصل لمرتبة الولاية قداسة خاصة؛ حيث يتبركون به، ويتمسحون بآثاره إن كان حيا أو ميتا، ويتعبدون عند ضريحه، ويطوفون حوله إن كان ميتا.

ويبلغ الولي عندهم مرتبة عالية بحيث تسقط عنه التكاليف الشرعية، ويعتقدون أن الله – تعالى – حلّ في ذاته أو اتحد معه – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – ويستشهدون بهذا الحديث على حلول الله تعالى في الولي، ويُرد ابن تيمية هذا الزعم الباطل فيقول في كتاب الاستغاثة: (وأما حديث الأولياء فليس من هذا الباب بالكلية، وإنما فيه: "فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي"، لم يقل: أنا أسمع، وأنا أبصر، ولا أنا أبطش، ولا أنا أمشي، وقد صرح بالفرق فيه بين الرب والعبد من وجوه متعددة، كقوله: **"من عادى لي وليا، فقد بارزني بالمحاربة"**، ففرق بين نفسه ووليه، وعدوه ووليه، ثم قال: **"ماتقرب إلى عبدي بمثل آداء ما افترضته عليه"**، ففرق بين المتقرب والمتقرب إليه، ثم قال: **"فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به..."** إلى آخره، فلم يقل: كنت إياه، ولا فيه أن فِعْل أحدهما هو فعل الآخر، ولكن أخبر أن إحسان العبد وفعله يقع به؛ لأن العبد إذا صار موافقا لله فيما يحبه ويرضاه، يحبُ ما يحبُ، ويبغض ما يبغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى، صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، فإحسانه وأفعاله تقع به)[٢].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٦٧/٤).

(٢) الاستغاثة لابن تيمية (٣٤٦/١-٣٤٧).

وهؤلاء المخالفون للشرع من الشيعة والمتصوفة والمبتدعة إن ظهر على يديهم شيء من الخوارق فلا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله؛ لأن هذه الأمور تكون من أفعال الشيطان، فهي مخارق شيطانية، وتلبيسات إبليسية(١).

ومما سبق نجد أن هناك توافقا كثيرا بين صفات الولي عند الشيعة وعند الصوفية، ومن أراد التوسع في ذلك الرجوع إلى المصادر التي بحثت في هذا المجال. ونلحظ اختلافا بينهم وبين الولي عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: الطريق إلى ولاية الله

يرى الإمام الشوكاني –رحمه الله- أن الطريق إلى ولاية الله تتلخص في ثلاث شعب: وهي الإيمان بالله كما ندب إليه الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وأداء الفرائض، واجتناب النواهي، وفعل النوافل، والاستكثار منها.

فالإيمان بالله – تعالى – يراد به الإيمان بجميع الأركان، وهو أن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فيصدق بالجنان، ويعمل بالأركان، وأداء الفرائض، واجتناب النواهي، يراد بها الاعتصام بالكتاب والسنة؛ فيؤدي ما افترض الله عليه من الأمور، ويجتنب كل محذور مع الإخلاص والاتباع للمنهج الحق، قال – تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام:١٥٣]، وقال الرسول ﷺ: «**قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(٢).

---

(١) قطر الولي للشوكاني (ص:٢٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه ح (٤٣)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ص٤٨٢، من طريق واحد. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ح (١٧١٤٢) والحاكم في المستدرك (٩٦/١)، وابن أبي عاصم في السنة ح (٢٢) و ح(٤٨) وح (٥٦)، والطبراني في الكبير (٦١٩/١٨)، وفي مسند الشاميين (٢٠١٧)، والآجري في الشريعة ص(٤٧)، وإسناده حسن.

أما فعل النوافل فالتزود بها مطلوب، والاستكثار منها مرغوب؛ لأنها تكفر السيئات، وتزيد الحسنات، وترفع الدرجات، فأبوابها كثيرة، وأعدادها وفيرة، وحصرها معسور، وذكرها غير ميسور، فمن تعبد بها بعد الفرائض واستدام على ذلك كانت سببا في محبة الله وقربه منه ونصرته وتأييده له كما سنوضح ذلك –إن شاء الله– وعلى قدر التصديق بالشعب والعمل بها تكون الولاية، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله – تعالى، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى)[1].

المطلب الرابع: ثمرة الولاية الحق

وهي الفوائد التي دلَّ عليها هذا الحديث مما يلي:

١– البصيرة والفرقان:

والمراد به نور الإيمان الذي يقذفه الله – تعالى – في قلب وليه؛ فيرى به صلاح أمره، ويفرق به بين الحق والباطل، قال – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩]، فبنور الإيمان يجعل الله لأوليائه مخرجا من كل شبهة، ونجاة من كل فتنة، ونورا في كل ظلمة؛ فيصبحون بصراء بالأمور، لا تغيرهم تقلبات الزمان وفتن الدهور.

قال ابن القيم – رحمه الله – تعالى: (وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق

(١) مجموع الفتاوي (١١/١٧٥).

بفطرته وعقله، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الـوحي فباشـرت قلبـه وخالطت بشاشته، فازداد نورا بالوحي على نوره الذي فطره الله – تعالى – عليـه؛ فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور؛ فيكاد ينطـق بـالحق، وإن لم يسمع فيه أثرا، ثم يسمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته، فيكون نورا على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا، فينشأ إيمانه مـن شهادة الوحي والفطرة)[1].

وقال الشيخ الشوكاني –رحمه الله-: (إنه يجعل لهم من ثبات القلـوب وثقـوب البصائر، وحسن الهداية ما يفرقون به بينهما عند الالتباس)[2].

والبصيرة والفرقان مادها وروحها الوحي المنـزل من عند الله – تعـالى، قـال – تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فسمى الله ﷻ وحيه روحا؛ لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، قال ابن القيم –رحمه الله-: (والحياة الأبديـة السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحـي إلى رسـوله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فمن لم يحيا في الدنيا فهو في جهنم لا يموت فيهـا ولا يحيي، وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار الـبرزخ، ودار الجـزاء أعظمهم نصيبا من الحياة بهذه الروح... وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلـوب وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بُعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل

---

(١) صحيح الوابل الصيب (ص:١٠٣).

(٢) فتح القدير (٣٠٢/٢)، ونحو هذه المعاني انظر: تيسير الكريم الـرحمن (ص:٣١٩)، أضـواء البيـان (٢٦٠/٢).

الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتةٌ مظلمة... فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نورٌ يميزُ به صحيح الأقوالِ من سقيمها، وحقها من باطلها)(١).

وهذا النور الذي مادته وروحه الوحي المنزل إذا تمكن من فؤاده ظهر على جوارحه، فاستنارت أقواله، واستقامت أفعاله، فداوم على القربات وتجنب المنكرات، فنال درجة السابقين وأصبح من المقربين؛ فلحق بزمرة السلف، وإن كان من الخلف.

قال ابن الجوزي — رحمه الله-: (فلما جعل الله – تبارك وتعالى – نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله ﷻ خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمسَ والقمرَ علموا بنور الهدى أنما خلقَ اللهُ ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه، والنار جزاء لمن عصاه؛ فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارُهم في مصنوعات الله بالعبرة، فلايقدر واحدٌ منهم أن يباشرَ شيئا من المنكرات، ولا يضيعَ شيئا من الطاعات)(٢).

ثم بهذا النور والفرقانُ الذي يَمُنَّ الله به على من يشاء من عباده تثمر له الفراسة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**»(٣)، وما أثر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «**اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا**

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٧٩-٨٠).

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين (ص:٣٦٨).

(٣) أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" (٣٥٤/٤)، والترمذي ح(٣١٢٧)، (٢٩٨/٥)، وقال: حديثٌ غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد رُوي عن بعض أهل العلم، وتفسير هذه الآية: {إن في ذلك لآيات للمتوسمين} [الحجر:٧٥] قال: للمتفرسين. وابن جرير الطبري (٤٦/١٤) من حديث أبي سعيد الخدري، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ح: ١٢٧ (٨٧/١)، وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة رواه الطبراني في الكبير ح:٧٤٩٧ (١٠٢/٨)، وفي الأوسط (٣١٢/٣)، (٢٣/٨) والعقيلي في "الضعفاء" (١٢٩/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٨/٦)، والبيهقي في الزهد (ص:٧٨)،=

منهم ما يقولون؛ فإنه تتجلى لهم أمور صادقة»[1].

والفراسة: ما يوقعه الله – تعالى – في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس[2]، ومعنى ذلك انكشاف الحقائق والأمور على ماهي عليه لصاحب القلب المعمور بالتقوى. والفراسة إلهام للأولياء، وقد يقع هذا الإلهام إما يقظة أو مناما، ويطلق عليه وحيا بالمعنى اللغوي، والمراد به الإعلام، وهو ما عُرف بالتحديث، قال ابن القيم – رحمه الله-: (فالتحديث إلهام خاص، وهو الوحي إلى غير الأنبياء)[3]، وجاء ذكره في مثل قوله – تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص:٧]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»، وفي

=والقضاعي في مسند الشهاب ح:٦٦٣(١/٣٨٧)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/٢٦٨): "وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن.." رواه الطبراني وإسناده حسن"، وأخرج ابن جرير (١٤/٤٦-٤٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/٨١) عن ثوبان عن النبي ﷺ بلفظ (احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله) وله طريق خاصة عن أنس مرفوعاً بلفظ "إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم" رواه ابن جرير (١٤/٣٦)، وزاد في الدرر (٥/٩١)، ونسبته للحكيم الترمذي والبزار وابن السني وأبي نعيم. ولفظة "التوسم" من وسم ومعناها: الأثر والمعلم وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسمة فيه أي علامته التي تدل عليه، ومنه قول عبد الله بن رواحة ﷺ في النبي ﷺ:

إني توسمت فيك الخير أعرفه والله يعلم إني ثابت النظر

انظر: معجم مقاييس اللغة (٦/١١٠)، تفسير أضواء البيان (٣/١١٨)، ويمكن للمتفرس أن يعلم العلامات بعينه وأذنه وقلبه قال ابن القيم – رحمه الله- (وفراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء بعينه وأذنه وقلبه. فعينه للسيماء والعلامات وأذنه للكلام وتصريح وتعريضه منطوقه ومفهومه وفحواه وإشارته ولحنه وإيمائه ونحو ذلك. وقلبه للعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه) مدارج السالكين (٢/٥٠٩).

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين (ص:٣٦٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/٤٢٨)، وانظر لسان العرب (١١/١٥٣).

(٣) مدارج السالكين (١/٥٣).

رواية أخرى: «**رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء**»[١]. قال الحافظ العراقـي: (قد يعلم الأنبياء كثيرا من الغيب بتعريف الله – تعالى – إياهم، وقد يطلـع بعـض الأولياء على بعض الغيوب بالإلقاء في الخواطر)[٢].

وللفراسة ارتباط وثيق بقوة الإيمان وصدق الحال؛ فمن كان أقوى إيمانا وأصـدق حالا فهو أحدُّ فراسة، ولقد عبَر عن هذا المعنى صاحب المنازل فقال: (فراسةُ تجنى من غرس الإيمان، وتطلعُ من صحة الحالة، وتلمع من نور الكشف)[٣]، قال ابن القـيم – رحمه الله: (هذا النوع من الفراسة مختص بأهل الإيمان؛ ولذلك قال: (تُجنى من غـرس الإيمان، وشبه الإيمان بالغرس؛ لأنه يزدادُ وينمو ويزكو على السقي، ويؤتي أكله كـل حين بإذن ربه، وأصله ثابت في الأرض، وفروعه في السماء؛ فمن غـرس الإيمـان في أرض قلبه الطيبة الزاكية، وسقى ذلك الغِراس بماء الإخلاص والصدق والمتابعة كان من بعض ثمره هذه الفراسة)[٤].

وأهل الإيمان هم أهل البصيرة والفرقان الذين أشرقت عليهم أنوار الهداية، وأضاءت عليهم مرتبة الولاية، فكشف لهم بعض المستور، وعرفوا حقائق الأمور... فكساهم الله من لطائف الامتنان وزينهم بنور الإيمان... فصاروا من الأتقياء ونالوا درجة الأوليـاء، وهؤلاء قال عنهم الحكيم الترمذي –رحمه الله–: (فمنهم من يكشف له من جـواهر معرفة عيوب الدنيا، وسرعة انقلابها، وكثرة غرورها، وقلة ثباتها، وتعجيـل زوالهـا،

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ح: ٣٦٨٩ الفتح (٣٩٧/٧).
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢٤٢/٨).
(٣) مدارج السالكين (٥١٥/٢).
(٤) إغاثة اللهفان (٤٨/١)، وانظر: مدارج السالكين (٥٠٥/٢).

ويكشف له من معرفة مكائد الشيطان وأصناف وساوسه، ومنهم من يكشف له من طريق معرفة مراتب أهل التقوى، ودرجات أهل العلم، ومكارم الأخلاق، وحسن معاملة الخلق عند مساويهم، واحتمال الأذى، والسخاوة بالدنيا، والإيثار على نفسه كائنا من كان، وخوف النار، ومحاربة الشيطان، ومجاهدة النفس ومخالفة هواها، ومتابعة الرسول وأصحابه، والتمسك بالسنة، ومنهم من يكشف له من طريق التحدث بنعم الله وذكر آلائه، ودفع بلائه، وكثرة عطائه، وجميل ستره، وطول حلمه، وعظيم عفوه، وسعة رحمته، وما أشبهها من هذا النوع، ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة ماسبق له من الله في أزليته وقدمه من ذكره إياه، ومن حسن نظره إليه واجتبائه واختياره واصطفائه ولطائفه السابقة، ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة الحقائق من أفعال الربوبية؛ فيشاهد آثار قدرته في الأشياء كلها وجميل صنعه، وما أشبه هذا الجنس، ومنهم من يكتشف له من طريق مشاهدة عظمة الله وجلاله وكبريائه، وعظم قدرته وحقارة قدر خلقه في جنب عظمته، ورؤية فقر الخلق وضدهم وفاقتهم وحاجتهم إليه، وقوته وغنائه عنهم وسعة خزائنه، وكفايته وحسن عنايته في أمورهم، ومنهم من يكشف له من جهة رؤية التوفيق، وحلاوة المعرفة والمحبة، ورؤية عصمته له من الضلالة والكفر والأهواء، ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة فردانيته ووحدانيته فقط؛ حتى لا يرى في سره معه غيره، فيتلاشى قدر من دونه في سره حين يشاهد الله ﷻ، فيرى قدمه وكماله وبقاءه، ويرى حدوث الخلق وفناءهم. وجميع هذه الوجوه ليس لبحارهما غاية، ولا لجواهرها نهاية، وقد قال ﷻ: ﴿يُؤْتِي

ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾[البقرة:٢٦٩][1].

فمن كانت هذه صفاته فليس بعيدا ولا مستنكرا أن تظهر على يده من الكرامات التي لاتتنافى مع الشريعة، قال الإمام الطحاوي – رحمه الله-: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم)[2]، وكم للصحابة ﷺ وللتابعين وأتباعهم من الكرامات التي يصعب حصرها، وهي تفضل من الله ﷻ على أوليائه؛ وتثبيت لأفئدتهم، وليست شرطا في الولاية، فإن أعطائهم ذلك فبكرمه وفضله، وإن منع ذلك فبعدله وحكمته.

٢- محبة الله لعبده وقربه منه ومعيته له:

وهذه من ثمرات الولاية الحق التي لا تكون إلا لعباد الله الخلص، فإذا كان العبد من أولياء الله – تعالى - كان من أهله وخاصته، ونال محبته، وأصبح الحبُ متبادلا بين الطرفين، كما قال – تعالى-: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤]، يقول الشيخ الفوزان – حفظه الله – عند هذه الآية: (وفيها إثبات المحبة من الجانبين: جانب العبد وجانب الرب، وفي ذلك الرد على من نفى المحبة من الجانبين من الجهمية والمعتزلة، فقالوا: لا يُحب ولا يحب، وأوّلوا محبة العبادِ له بمعنى محبتهم عبادته وطاعته، ومحبته للعباد بمعنى إحسانه إليهم وإثابتهم ونحو ذلك، وهذا تأويل باطل؛ لأن مودته ومحبته - سبحانه وتعالى - لعباده على حقيقتها كما يليق بجلاله كسائر صفاته، ليست كمودة ومحبة المخلوق)[3].

(١) ينظر: بيان الفرق بين الصدر والقلب واللب والفوائد، للحكيم الترمذي (ص:٥٠).
(٢) مدارج السالكين (٢٣/٣).
(٣) شرح العقيدة الواسطية للشيخ الفوزان (ص:١٥٤).

وإذا أحب الله ﷻ عبده قربه منه، ورقاه في درجات العبودية؛ حتى يصل إلى درجة الإحسان؛ فيعبد الله ﷻ على الحضور والمراقبة، فيتولاه بولايته، ويكلؤه بحفظه ورعايته، يقول ابن القيم – رحمه الله-: (وحب قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه)[1]، ويقول ابن رجب – رحمه الله-: (إن من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل قرَّبه إليه، ورقَّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبْدُ الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه؛ فيمتلئ قلبه بمعرفةِ الله – تعالى – ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة)[2].

وبقدر العبودية لله – تعالى – تكون المحبة من الله لعبده، وهذا مابينه شيخ الإسلام –رحمه الله– في طب القلوب عندما قال: (إن دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا)[3].

ومحبة الله لعبده مرتبة عظيمة، ومنزلة رفيعة ودرجة عالية ينالها ويحصل عليها من وفقه الله لذلك؛ لأن (كون العبد محبوبا أعلى من كونه محباً لله)[4].

والله – تعالى – يحب أولياءه، ويتودد إليهم، لذلك من أسمائه (الودود)، فهو يتودد إلى أوليائه، حيث قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾[البروج:١٤]، ويتودد إليهم برحمته،

(١) مدارج السالكين (٢٣/٣).
(٢) جامع العلوم والحكم (٣٤٥/٢).
(٣) طلب القلوب لابن تيمية (ص:٢٤٢).
(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص:١٨٩).

فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝﴾ [هود:٩٠]، فهو (غفور ودود لأوليائه، يزحزحهم عن النار بمغفرته، ويدخلهم الجنة برحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)[١]، (وتتجلى عظمة وده لعباده على نحو فيه مواساة وأنس وتبشير في قوله – سبحانه-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦][٢]، يقول ابن القيم – رحمه الله-: (وهذا القرب من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر)[٣]، ويقول الشيخ عبد الله الغنيمان –حفظه الله: (فالعبد إذا قرب إلى الله – تعالى – بالتوجه والمحبة، وإخلاص العمل، والصدق في ذلك – فإن الله – تعالى- يقرب إليه أكثر من قربه، فلكما زاد قرب العبد إلى ربه بالطاعة والإنابة والحب والإخلاص زاد قرب الله إليه؛ حتى يكون قلب العبد بين يدي ربه، فكأنه يشاهده بعينيه وهو – جل وعلا – على عرشه)[٤]، ويقول شيخ الإسلام: (فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله، والروح لها عروج يناسبها، فتقرب من الله – تعالى – بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب؛ فيكون الله ﷻ قريبا قربا يلزم من قربها)[٥].

ومن لوازم قربه ومحبته لعبده معيته له، (وهو أن الله – تعالى – يُسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله –

(١) أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها (ص:١٩٣).
(٢) المصدر نفسه (ص:١٩٤).
(٣) طريق الهجرتين (ص:٢٢).
(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢٦٤/١).
(٥) فتاوى ابن تيمية (٢٤١/٥).

تعالى - إخلاصا، وبالله — تعالى - استعانه، وفي الله — تعالى - شرعا واتباعا؛ فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة، وهذا غاية التوفيق)[١]، ولقد أثبت أهـــل السنة والجماعة علو الله ﷻ على عرشه، وأنه بائن من خلقه، وهو مع العباد عمومـــا بعلمه، ومع أوليائه وتأييده وكفايته[٢]، (وإن هذا القرب يدعو صـــاحبه إلى ركـــوب المحبة، وكلما ازداد حبا ازداد قربا، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها، وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها ودلت عليها، ومعرفة بعدها هي مـــن نتائجها وآثارها)[٣].

ومن تأمل قوله: «**كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» ظهرت له خصائص هـــذه الآلات، فإنهـــا (آلاتُ الإدراك والآت الفعل، والسمع والبصر يُوردان على القلب الإرادة والكراهة، ويجلبان إليه الحب والبغض، فيستعمل اليد والرجل، فإذا كان سمع العبد بالله، وبصره بالله كان محفوظا في حبه وبغضه، فحفظ في بطشه ومشيه)[٤]، وقوله (به) أي: يسمع به ويبصر به.. ونحوها، فهذه (الباء) تفيد معنى المعية، (ولا يتأتى للعبـــد الإخـــلاص والصـــبر والتوكل نـــزوله في منازل العبودية إلا بهذه الباء وهذه المعية، فمتى كان العبـــدُ بـــالله هانت عليه المشاق وانقلبت عليه المخاوف في حقه أمانا، فالله يهونُ كـــل صـــعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الهموم والغموم والأحزان)[٥].

---

(١) شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (ص:١٢٤)، وشرح رياض الصالحين (٣١٧/٥).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٥)، وانظر: الآثار المروية في صفة المعية (ص:٦٢).
(٣) مدارج السالكين (٢٧٧/٢).
(٤) الجواب الكافي لابن القيم (ص:٢٧٥).
(٥) المصدر نفسه (ص:٢٧٦).

٣- المعرفة بين العبد وربه:

والمراد بها هنا المعرفة الخاصة بين العبد وربه؛ وذلك لأن معرفة العبد لربه نوعان:

أحداهما: المعرفة العامة: وهي معرفة الإقرار به، والتصديق والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.

والثانية: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه والأنسُ به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكينُ أهلُ الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب مافيها، قيل له: وماهو؟ قال: معرفة الله ﷻ.

ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان: معرفة عامة، وهي علمه - سبحانه - بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[ق:١٦]، والثاني: معرفة خاصة، وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجائه من الشدائد(١)، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه: «**ولا يزال عبدي يتقربُ إليّ بالنوافل حتى أحبه...**».

وهذه المعرفة الخاصة يورثها العلم النافع، قال ابن رجب –رحمه الله: (إن هذا العلم النافع يدل على أمرين: أحدهما: على معرفة الله، وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبته ورجاءه، والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه، والأمر الثاني: المعرفة

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص/٤٧٣).

بما يحبه ويرضاه، ويكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة... وأوجب ذلك أن يكون بين العبد وربه ﷻ معرفة خاصة، فإن سأله أعطاه وإن دعاه أجابه)(١).

وللمعرفة آثار وشواهد وضحها ابن القيم – رحمه الله–، فقال: (وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدها، فقال بعضهم: من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته، وقال أيضا: المعرفة توجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته، وقال لي بعض أصحابنا: ما علامة المعرفة التي يشيرون إليها؟ فقلت له: أنس القلب بالله، قال لي: علامتها أن يحس بقرب قلبه من الله، فيجده قريبا منه)(٢)، ثم قال: (فإن المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بمعروفه؛ فلا يبقى فيه علاقة بغيره، ولا تمر به العلائق إلا وهي مجتازة، ولاتمر مرورَ استيطان)(٣). فمن نال هذه المرتبة اطمأنت نفسه، وانشرح صدره، وهانت في نظره الدنيا، واستعد للآخرة، فلا يندم على ما فات، ولايفرح بما هو آتٍ؛ لأنه ينظر في الأشياء الفناء والزوال، وأنها في الحقيقة كالظلال والخيال.

وأعرف الناس بالله على الإطلاق نبينا محمد ﷺ القائل: «**أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية**»، قال أحمد بن عاصم: (من كان بالله أعرف كان من الله أخوف)(٤)، وهذا يدل على قوله – تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

(١) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص:١١٤).
(٢) مدارج السالكين (٣/٣٤٥)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٥٢).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) بصائر ذوي التمييز (٤/٥٢).

٤- إجابة الدعاء وإعاذته من البلاء:

وهذا من قوله: «**وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»، قال ابن بطال: (فجوارحه كلها تعملُ بالحق، فمن كان كذلك لم تُرد له دعوة)(١)، وقال ابن رجب -رحمه الله-: (يعني أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأله شيئا أعطاه، وإذا استعاذ به من شيء أعاذه منه، وإن دعاه أجابه؛ فيصير مجاب الدعوة؛ لكرامته على الله – تعالى-، وقد كان كثير من السلف الصالح معروفا بإجابة الدعوة)(٢)، وقال ابن حجر: (أي: إن سألني أعطيته ما شاء، وإن استعاذني لأعيذنه مما يخاف)(٣)، قال ابن القيم -رحمه الله-: (ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: «**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»، أي: كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب إليّ بمحابي فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعله به ويستعيذني أن يناله)(٤).

* * *

(١) شرح البخاري لابن بطال (٢١٢/١٠).
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٤٨/٢).
(٣) فتح الباري (٤١٩/١١).
(٤) الجواب الكافي (ص:٢٧٧).

المبحث الثالث

المراد من قوله ﷺ فيما يرويه عن الله - تعالى-: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»

ولعل هذا المعنى من الحديث القدسي يوافق قوله – تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج:٣٨]، وفي ذلك يقول الشيخ السعدي –رحمه الله-: (كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر)[١].

وفي قوله: «**من عادى لي وليا**» أورد ابن حجر – رحمه الله- إشكالا، وهو: كيف يمكن لأحد أن يعادي من كان عادته الحلم والصفح عمن يجهل عليه[٢]؟ فمثل هذا قليل أعداؤه إن لم يكونوا معدومين. فأجاب قائلا: (إن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب، كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة بين الجانبين، أما من جانب الولي فلله – تعالى – وفي الله، وأما من الجانب الآخر فلما تقدم)[٣].

ويستفاد من هذا الابتعاد عن معاداة أولياء الله – تعالى، قال ابن رجب – رحمه الله-: (فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم مساءتهم، كما أنَّ اعداءه تجبُ معاداتهم وتحرم موالاتهم)[٤]؛ لأنه من يعادي أولياء الله سوف يتعرض لسخط الله تعالى ومحاربته، أما

(١) تفسير السعدي (ص:٥٣٩).
(٢) فتح الباري (١١/٤١٥).
(٣) المصدر نفسه (١١/٤١٦).
(٤) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٣٤).

إذا كان هناك نـــزاع بين اثنين لاستخراج حق غامض فإن ذلك لايـــدخل في هـــذا الحديث؛ فإنه قد جرى بين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – خصومة وبين كـــثير من الصحابة، وكلهم كانوا أولياء لله ﷻ، كما بينه ابن دقيق العيد ناقلا عن صاحب الإفصاح[١].

وفي قوله: «**فقد آذنته بالحرب**» قال الكرماني: (أي: أعلمته بالحرب)[٢]، وكـــذا قال السيوطي في التوشيح[٣]، قال ابن حجر في معنى ذلك: (فقد تعـــرض لإهلاكـــي إياه)، وقال القسطلاني في إرشاد الساري: (أي: أعمل به ما يعمله العدو المحارب مـــن الإيذاء ونحوه.. وفيه تهديد شديد؛ لأن من حاربه أهلكه)[٤].

* * *

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:١٦٥).
(٢) شرح الكرماني على الصحيح الجامع (٢٢/٢٣).
(٣) التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي (١٢٤/٥).
(٤) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٥٠٢/١٣).

المبحث الرابع

المراد من قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه – تعالى-: «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته»

لقد أشكل هذا اللفظ على بعض الطوائف فقالت طائفة: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وقالت طائفة غير هذا، فأورد ابن تيمية هذا الإشكال ورد عليه قائلا: (والتحقيق: إن كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بيانا منه، فإذا كان كذلك كان المتخذلق والمنكر عليه من أضل الناس، وأجهلهم وأسوئهم أدبا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يُوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ثم هذا باطل، فإن الواحد منا يترددُ تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعلَ لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه.. وهذا مثلُ إرادة المريض لدوائه الكريه.. ومن هذا الباب يظهر معنى "حتى أحبه"، فإن العبد الذي هو حاله صار محبوبا للحق محبا له، يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل التي يُحبها ويحبُ فاعلها؛ فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد

اتفاق الإرادة، بحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه، والـــرب يكـــره أن يسوء عبده ومحبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه، والله ﷻ قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولابد منه، فالرب مريد لموته لما ســبق بــه قضاؤه، وهو على ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل به بالموت، فصـــار الموتُ مرادا للحق من وجه، مكروها له من وجه، وهذا حقيقة التردد وهو: أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه، وإن كان لابد مـــن تـــرجح أحـــد الجانبين كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس إرادتـــه لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الـــذي يبغضـــه ويريـــد مساءته)(١).

قوله: «**يكره الموت وأنا أكره مساءته**» فالكراهية صفة من صفات الله – تعالى – الثابتة له في محكـــم كتابـــه، قـــال – تعـــالى-: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦]، (وهي من صفات الأفعال التي يفعلها – جل وعلا – متى شاء إذا شـــاء كيف شاء، وأهل السنة يثبتون ذلك لله كما أثبته لنفسه على ما يليق بجلاله)(٢).

قال الشيخ الشوكاني: (فيه فائدة جليلة هي أن المؤمن قد يكره الموت ولا يخـــرج بذلك عن رتبة الإيمان الجليلة، ولا ينافي ذلك إن شاء أن يحب لقاء الله – سبحانه)(٣).

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/١٢٩-١٣١)، وانظر إيجازا للمعنى في التحفة العراقية لابن تيمية (ص:٣٩٤).
(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ الفوزان (ص:٥٢).
(٣) قطر الولي (ص:٥١٦).

الخاتمة

تم بحمد لله وتوفيقه الانتهاء من البحث، وقد خرجت منه بنتائج أهمها:

١- أحاديث الصحيحين تلقتها الأمة بالقبول ورواتها جازوا القنطرة فردها – عدا المتكلم فيها- مخالفة للإجماع.

٢- الولي المقصود به في الحديث المراد بحثه هو الموافق لله في محبوباته، المتقرب له بالطاعات، الذي يتجنب المنهيات، ويضيف على ذلك نوافل العبادات.

٣- أولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين، ولا شك أن السابقين أفضل من أصحاب اليمين.

٤- التحذير من معاداة ولي الله؛ لأنه آذن وأعلم بمحاربة من يؤذيه ويعاديه.

٥- للولاية الحق ثمرات، منها: البصيرة، والفرقان، والمحبة، والقرب، والمعية، والمعرفة الخاصة بين العبد وربه، وبالأخص عند الشدائد، وإجابة الدعاء، والإعاذة من البلاء.

٦- إن الله – تعالى- يسدد الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله – تعالى-، وهذا تفسير السلف، على خلاف من فهم أن الولاية تقتضي أن يكون الله – تعالى - سمع الولي وبصره ويده ورجله، كالقائلين بالحلول وغيرهم، وهو تفسير المخالفين من المبتدعة.

٧- إن الله ﷻ يتردد في قبض نفس المؤمن؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وعبده يكره الموت لذلك يكرهه، وهو - سبحانه - قد قضى بالموت، فسمي ذلك ترددا.

٨- الكراهية صفة من صفات الله – تعالى- الثابتة له في محكم كتابه، قال – تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة: ٤٦]، على ما يليق بجلاله وعظمته.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- **التعرف لمذهب أهل التصوف**، للكلاباذي.

٣- **منهاج السنة النبوية**، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤- **ولاية الله والطريق إليها**، إبراهيم إبراهيم هلال

٥- **عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب**، لابن عربي، ن: مكتبة محمد علي – القاهرة.

٦- **الفصوص**، لابن عربي، (ط) الثانية ١٤٠٠هـ، ن: دار الكتاب العربي، لبنان

٧- **الاستغاثة المعروف بالرد على البكري** لابن تيمية.

٨- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط ١٣٩٥هـ، ن: دار إحياء التراث.

٩- **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر، ن: دار الفكر

١٠- **مستدرك الحاكم**، ن: دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١١- **السنة لأبن أبي عاصم**. حققه: أ.د/ باسم الجوابرة. ط الأولى ١٤١٩هـ، ن: دار الصمعيي.

١٢- **المعجم الكبير للطبراني**، حققه: حمدي السلفي، ط الأولى ١٤٠٠هـ، ن: مطبعة الوطن – مسند الشاميين.

١٣- **مسند الشاميين.**
١٤- **الشريعة للآجري**. تحقيق: د. عبد الله الدميجي. ط الأولى ١٤١٨هـ. ن: دار الوطن.
١٥- **صحيح الوابل الصيب**. لابن القيم.بقلم سليم الهلالي. ن: دار ابن الجوزي.
١٦- **فتح القدير للشوكاني**. ن: عالم الكتب.
١٧- **أضواء البيان للشنقيطي**. لمحمد الأمين الشنقيطي. ط الأولى ١٤١٧هـ، ن: دار الكتب.
١٨- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، لابن القيم، تحقيق: فواز زمرلي. ط الأولى، ن: دار الكتاب.
١٩- **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر. ن: دار إحياء التراث العربي.
٢٠- **التاريخ الكبير للبخاري**. تحقيق: السيد هاشم الندوي.
٢١- **ضعيف الجامع للألباني**. ط. الثانية ١٣٩٩هـ. ن: المكتب الإسلامي.
٢٢- **المعجم الاوسط للطبراني**. تحقيق: طارق الحسيني. ط١٤١٥هـ، ن: دار الحرمين.
٢٣- **حلية الأولياء لأبي نعيم**. ط الثانية ١٣٨٧هـ. ن: دار الكتاب العربي.
٢٤- **مسند الشهاب للقضاعي**. حققه: حمدي السلفي. ط الأولى. مؤسسة الرسالة.
٢٥- **الدر المنثور للسيوطي**. إشراف دار الفكر الأولى ١٤٠٣هـ.
٢٦- **مدارج السالكين**. لابن القيم. راجع النسخة: لجنة من العلماء. ن: دار الحديث القاهرة.

٢٧- **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون. ط١٤٢٠هـ. ن: دار الجيل.

٢٨- **النهاية في غريب الحديث**. لابن الأثير. ن: دار إحياء التراث. بيروت.

٢٩- **طرح التثريب في شرح التقريب**. لزين الدين العراقي. تخريج: محمد علي. ط الأولى ١٤٢١هـ، ن: دار الكتب.

٣٠- **إغاثة اللهفان**، لابن القيم.

٣١- **بيان الفرق بين الصدر والقلب واللب والفؤاد**، للحكيم الترمذي.

٣٢- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لابن القيم، تخريج: أحمد شمس. ن: دار الكتب العلمية.

٣٣- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر، إخراج الشيخ ابن باز. ط الأولى ١٤٢١هـ.

٣٤- **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط الثالثة، ن: مؤسسة الرسالة.

٣٥- **ميزان الاعتدال للذهبي**، تحقيق علي البجاوي، ن: دار المعرفة، بيروت.

٣٦- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لابن القيم.

٣٧- **قطر الولي للشوكاني**، عناية إبراهيم إبراهيم هلال.

٣٨- **مجموع الفتاوي**، لابن تيمية، جمع محمد بن قاسم (ط) ١٤١٢هـ، ن: عالم الكتب.

٣٩- **الأسماء والصفات**، للبيهقي، حققه عبد الله الحاشدي، ط الأولى ١٤١٣هـ، ن: مكتبة السوادي.

٤٠- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لابن بلبان، حققه شعيب الأرنؤوط. ط الأولى ١٤٠٨هـ، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤١- **كرامات الأولياء**، للألكائي.
٤٢- **الأولياء**، لابن أبي الدنيا.
٤٣- **المسند**، للإمام أحمد، إشراف د. سمير المجذوب، ط الأولى ١٤١٣هـ، ن: المكتب الإسلامي.
٤٤- **الكامل في الضعفاء** لابن عدي. تحقيق: مختار غزاوي. ط الثالثة ١٤٠٩هـ، ن: در الفكر.
٤٥- **معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد** محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
٤٦- **الأحاديث القدسية**، ملا علي القاري.
٤٧- **الصحاح للجوهري**.
٤٨- **لسان العرب**، لابن منظور، ط الأولى ٢٠٠٠م، ن: دار صادر
٤٩- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن اليحيي، ط الأولى ١٤٢٠هـ، ن: دار الفضيلة.
٥٠- **مجموعة الرسائل والمسائل**، لابن تيمية، (ط ١٣٢٨هـ.
٥١- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز. حققه: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، ط الثالثة ١٤١٢هـ، ن: مؤسسة الرسالة.
٥٢- **التحرير والتنوير**، طاهر بن عاشور.
٥٣- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق: الخراط. ط

الأولى ١٤٠٦هـ، ن: دار القلم، دمشق.

٥٤- **تفسير السعدي**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، (ط) الأولى ١٤٢٣هـ، ن: مؤسسة الرسالة.

٥٥- **تفسير عبد الرزاق الصنعاني**.

٥٦- **تفسير الطبري**، ط ١٤٠٦هـ، ن: دار المعرفة.

٥٧- **تفسير ابن كثير**، ط ١، الثالثة ١٤٠٩هـ، ن: دار المعرفة، بيروت

٥٨- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم. حققه: بشير عيون، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٥٩- **بستان الواعظين**، لابن الجوزي، ن: دار البيان، ومكتبة المؤيد.

٦٠- **أصول الكافي للكليني**.

٦١- **بحار الأنوار للمجلسي**.

٦٢- **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية** للخميني.

٦٣- **طب القلوب**، لابن تيمية.

٦٤- **المقصد الأسني للغزالي**، تحقيق: محمد الخسف، ن: مكتبة القرآن، القاهرة.

٦٥- **أسماء الله الحسنى وآثارها وأسرارها**، محمد بكر إسماعيل.

٦٦- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري** للغنيمان. ط. الثالثة ١٤١٩هـ. ن: دار لينة.

٦٧- **شرح القواعد المثلى**، لابن عثيمين، مكتبة التراث الإسلامي.

٦٨- **شرح رياض الصالحين**، لابن عثيمين.

٦٩- **الآثار المروية في صفة المعية**، للدكتور: محمد بن خليفة التميمي.
٧٠- **فضل علم السلف على الخلف**، لابن رجب.
٧١- **بصائر ذوي التميز**، للفيروز آبادي، تحقيق: علي النجار. (ط) الثالثة ١٤١٦هـ.
٧٢- **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال.
٧٣- **شرح الأربعين النووية**، لابن دقيق العيد.
٧٤- **شرح الكرماني**، صحيح البخاري.
٧٥- **التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي**، تحقيق: علاء الأزهري، ط الأولى ١٤٢٠هـ، ن: دار الكتب – بيروت.
٧٦- **إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري.**
٧٧- **التحفة العراقية في الأعمال القلبية.**
٧٨- شرح **العقيدة الواسطية للفوزان.**
٧٩- **الرسالة القشيرية.**

* * *